أهمية ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية وخطورتها

أ. مصطفى أكرور.

أستاذ مكلف بالدروس بكلية أصول الدين-جامعة الجزائر-

تمهيد في معنى الترجمة:

قال في لسان العرب[1] الترجمان: المفسر للسان وفي حديث هرقل:"قاله لترجمانه"، الترجمان بالفتح والضم -أي بفتح التاء والجيم وضمهما- هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى والجمع:التراجم التاء والنون زائدتان، وقد ترجمه، وترجم عنه".

وروى البخاري في صحيحه[2]: عن عدي بن حاتم قال: قال النبيﷺ:"ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان..."وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري".

في شرح حديث هرقل: "الترجمان: المعبر عن لغة بلغة"[3]، وجاء في "الإصابة" لابن حجر، في ترجمة عبد الله بن عباس من عدة روايات "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"[4].

ويستفاد من كل ما تقدم أن "الترجمة" تفسير لغة بلغة أخرى وأنها نقل المعنى من لغة إلى لغة وأنها تعبير عن لغة بلغة كما أنه يطلق على المفسر الضالع في التفسير كابن عباس "ترجمان القرآن" لأنه المعبر عن معاني القرآن الكريم، فالترجمان هو المفسر المعبر عن المعاني...

دواعي ترجمة معاني القرآن.

عقد الإمام البخاري في صحيحه بابا في التكلم بغير العربية، وذكر قول الله تعالى:﴿...واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ وقوله تعالى:﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[5] ثم ساق أحاديث أثبت بها أن النبيﷺ تكلم بغير اللغة العربية في بعض مخاطباته.

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"[6] في شرحه لهذا الباب وقول الله عز وجل: :﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾، "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" كأنه -أي البخاري في استشهاده بهاتين الآيتين- أشار إلى أن النبيﷺكان يعرف الألسنة، لأنه أرسل إلى الأمم كلها على اختلاف ألسنتهم فجميع الأمم قومه بالنسبة إلى عموم رسالته فاقتضى أن يعرف ألسنتهم ليفهم عنهم ويفهموا عنه".

ثم قال: "ويحتمل أن يقال لا يستلزم ذلك نطقه بجميع الألسنة لإمكان الترجمان الموثوق به".

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ من أصحابه من يترجم له الكتب الواردة إليه من الروم أو الفرس أو الأحباش أو القبط أو اليهود، ففي كتاب "التراتيب الإدارية في نظام الحكومة النبوية" للكتاني[7]:"أن زيد بن ثابت كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة النبيﷺ وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية والعبرية".

ثم يسوق العلامة الكتاني الأحاديث والآثار التي صرح فيها زيد بن ثابت بأمر النبي ﷺ له بتعلم اللغة السريانية والعبرية.

وأما باقي اللغات فتعلمها من تلقاء نفسه، فتعلم الفارسية من رسول كسرى والرومية من حاجب النبيﷺ، وكذا الحبشية من خادمه، والقبطية من خادمته عليه الصلاة والسلام.

فيستفاد مما تقدم أن الترجمة أمر حاصل من عهد النبوة، ليس بغريب ولا مستنكر غير أنه يجب التنبه لأمر هام في هذا الموضوع، ألا وهو:

أن النبيﷺ، اتخذ ترجمانا يترجم له الكتب التي ترد إليه من الفرس والروم والقبط والأحباش واليهود، ولكنه لم يأمره بترجمة كتبه عليه السلام لإحدى هذه اللغات، وإنما كانت ترسل إلى من ترسل إليه من ملوك الأمم وقادة الشعوب بلغته الأم "اللغة العربية" مع علمه عليه الصلاة والسلام بأن كتبه ستترجم وبما فيها من الآيات القرآنية فهذا يدل على أمرين:

الأولى:أن صاحب الدعوة حين تبليغ دعوته لاينزل إلى مرتبة تحط من قدره وذلك في مخاطبة من يدعوهم بلغتهم، وإنما يخاطبهم بلغة دعوته، وهذا ماكان يفعله رسول اللهﷺ في مخاطباته للملوك، ليكون التأثير أبلغ والاهتمام أكبر، وصونا لجانب استقلال الدعوة وعظمتها.

وتتشبه بذلك الأمم المتحضرة التي تسعى في انتشار لغتها في العالم حتى تصير لغتها عالمية، إعمالا للسيادة وتثبيتا للعظمة.

وما كان يفعله عليه الصلاة والسلام من عدم ترجمته كتبه التي يرسلها إلى ملوك الأمم، مع توفر المترجم الذي يترجم له، وإرسالها باللغة العربية، إنما ذلك لرفع جانب الإسلام ولغته، وأن يعلو ولا يعلى عليه، وأن لغة القرآن لابد وأن تنتشر، لأن القرآن كتاب العالم بأجمعه، لا للعرب وحدهم.

فلعظمة القرآن الكريم وعلو قدر الإسلام ولغته اقتضى أن يكتب النبي ﷺ إلى الأمم بلغة القرآن.

وأما الأمر الثاني: فإن النبيﷺ كان يضمن كتبه ورسائله آيات من القرآن الكريم وهو يعلم حق العلم أن هذه الآيات سيقوم من أرسلت إليه بترجمة معانيها إلى لغته ليفهم مضمونها، وهذا إقرار من النبيﷺ بجواز ترجمة معاني القرآن إلى غير اللغة العربية عند اللزوم ولو كان ذلك مخطورا. لاكتفى بكلامه عليه الصلاة والسلام، وقد روي عنه ﷺ حرمة حمل المصحف في المعارك خشية أن يصل إلى يد العدو فيكون مالا يرضاه.

فلو كانت الترجمة لمعاني القرآن تمس من قدر القرآن والإسلام في شئ لما ضمن عليه الصلاة والسلام كتبه ورسائله آيات القرآن الكريم وهو يعلم أنها ستترجم إلى لغة القوم التي أرسلها إليهم.

فيتحصل من ذلك: أن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى غير لغة العرب عند اللزوم جائز وغير مكروه في حالات عدة ومن تلك الحالات:

- الدعوة والتعليم.
- قد جاء في كتاب "**المبسوط للسرخسي**"[8].

"أن سليمان الفارسي ترجم معاني سورة الفاتحة للفرس حين كتبوا إليه يطلبون ذلك حتى لانت ألسنتهم للعربية".

وتجوز ترجمة معاني القرآن لمن لا يعرف اللغة العربية من المسلمين وغيرهم لنشر الدعوة الإسلامية؛ فلا يمكن للدعوة أن تنتشر في العالم إلا إذا نقلنا معاني هداية الله سبحانه في القرآن إلى لغات من تحمل إليهم الدعوة، وهذا الأمر لاشك في ضرورته وأهميته في تبليغ الإسلام للناس[9].

فترجمة معاني القرآن في حقيقتها هي: نقل معنى أو معان من معاني القرآن وذلك حسب إمكان وجوه التفسير والتأويل، فليس في هذا الشكل تغيير للأصل أو نقله من وجه إلى وجه وعلى هذا يجوز الإطلاق على هذا النوع من الترجمة اسم "**الترجمة التفسيرية**" لا القرآن المترجم وذلك لأن إطلاق تسمية الترجمة التفسيرية لمعاني القرآن لا تصور للسامع ولا تخيل للقارئ، أنه هو الأصل أو هو النقل الحرفي للأصل كنقل الإنجيل عن العبرانية إلى السريانية والحبشية والرومية والعربية، وكنقل التوراة عن العبرانية إلى هذه اللغات أيضا، لأن ترجمة القرآن حرفيا فوق طاقة البشر!![10].

ذلك لأن الله عز وجل أنزل كتابه باللغة العربية الفصحى على قلب سيد العرب والعالمين: محمد بن عبد الله ﷺ، في زمن بلوغ الفصاحة والبلاغة، وروعة البيان والأساليب:مبلغا عظيما، ليكون المعجزة العظمى على مر الدهور وطول العصور متحديا الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو ببعض أمثال آياته، لإثبات صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، وأنه لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

قال الله تعالى:﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (11).

فقد جاء القرآن الكريم بالنظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب !! والأسلوب المخالف لجميع أساليب اللغة العربية!! والجزالة التي لا تأتي من مخلوق بحال!! والتي لا يستطيع أحد كائنا من كان أن يحاكيها أو يرتقى إلى مستواها ولقد امتاز القرآن بكونه "كلام الله تعالى" على جميع مناهج الأساليب الشعرية والنثرية، وإنما كان على منهاج خاص فريد في أسلوبه نادر في محتواه عظيم في تفصيلاته! رائع في نسقه !.

لم يكن للعرب به عهد، وليس لهم به سابق معرفة، حتى إنهم لفرط تأثرهم به كانوا يقبلون على سماعه، ويؤخذون بفصاحته وبلاغته وتستولي على مشاعرهم ألفاظه وأساليبه ومعانيه!! ولهذا لايجوز إخراج القرآن عن لغته المعجزة إلى لغات أخرى، ثم يسمى قرآنا، أو"ترجمة قرآنية"؟ وذلك للاعتبارات التالية:

أولا: إذا خرج القرآن عن لغته العربية تأكد وقوع التغيير والتبديل والتحريف الذي يأمل به أعداء الإسلام.

ثانيا: لخصائصه البيانية العظيمة التي ضاهت أساليب بلغاء العرب وفصحائهم، فلم يكن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها أو بأقل مما يشابهها في غير لغتها؟!.

ثالثا: فقدان جميع اللغات في العالم خصائص اللغة العربية، فكيف تتمكن كلها بأن تأتي بمثل خصائص القرآن المعجزة؟! .

رابعا: إعجاز القرآن الكريم بخصائصه البيانية وأساليبه التعبيرية،والعجز عن تحقيقها في الترجمة يفقد القرآن إعجازه الذي يثبت قرآنيته وصدق نبوة رسول الله ﷺ، لهذا وأمثاله لا تجوز ترجمة القرآن ترجمة مطابقة، بل لا يمكن تحقيقها، أما ترجمة معانيه فهي شيء آخر.

ولقد عقد الإمام الشاطبي فصلا لهذا البحث في كتابه "**الموافقات**"[12] بين فيه المجال الذي يمكن من خلاله ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث أوضح أن اللغة العربية بمالها من الألفاظ وعبارات دالة على المعاني؛ نظيران:

"**أحدهما:** من جهة كونها ألفاظا وعبارات مطلقة، دالة على معان مطلقة، وهي الدلالة الأصلية.

والثاني: من جهة كونها ألفاظا وعبارات مقيدة، دالة على معان خادمة، وهي الدلالة التابعة.

فالجهة الأولى: هي التي يشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين ولا تختص بأمة دون أخرى، فإنه إذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلا، كالقيام، ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام، تأتي له ماأراد من غير كلفة ومن هذه الجهة يمكن في لسان العرب الأخبار عن أقوال الأولين–من ليسوا من أهل اللغة العربية– وحكاية كلامهم.

ويتأتى في لسان العجم حكاية أقوال العرب والإخبار عنها، وهذا لا إشكال فيه وأما **الجهة الثانية**: فهي التي يختص بها لسان العرب عن سائر اللغات في نوع الأسلوب من الإيضاح، والإخفاء، والإيجاز، والإطناب ، وغير ذلك، ثم يتنوع أيضا بحسب تعظيمه أو تحقيره، وبحسب الكناية عنه والتصريح به إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها...".

ثم قال: "وإذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الأخير أن يترجم كلاما من الكلام العربي بكلام العجم على حال، فضلا عن أن يترجم القرآن وينقل إلى لسان غير عربي.

وقد نفى ابن قتيبة إمكان الترجمة في القرآن–يعني: على هذا الوجه الثاني فأما على الوجه الأول فهو ممكن– ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معانيه للعامة، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزا باتفاق أهل الإسلام فصار هذا الاتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي".

ومن الجهة الثانية كان القرآن الكريم معجزا، ونقل إعجازه من عربيته إلى غير لغته مستحيل! ولقد اختص القرآن الكريم بأسرار الإعجاز اللغوي والتشريعي والمعنوي، والبياني، بما لايدع للبشر جميعا سبيلا للشك في كونه كلام الله تبارك وتعالى[13].

لأنه فوق الإعجاز التشريعي والمعنوي، معجز في أسلوبه وبيانه ولغويته ومتفوق على جميع الأساليب العربية من العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والتبيين، ودلالة الإشارة والعبارة، والفحوى، والإيماء، وما فيها من الخبر والإنشاء، والنفي والإثبات والحقيقة والمجاز، والإطناب والإيجاز والحذف والعطف، والتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير والاستعارة والإرداف، والغلو والإفراط، والتمثل والمطابقة، والتجنيس والمقابلة، والموازنة والمبالغة، والمساواة والإشارة، والعكس والتبديل، والاعتراض والالتفاف، والرجوع والاستطراد، والتذييل والتكرار، وأنواع الاستفهام والقسم، إلى غير ذلك مما يتعلق بالأساليب العربية، فهو بهذه الخصائص التي اختص بها وفاق بها على جميع من نطق وكتب، فإن ترجمته إلى غير لغته فوق طاقة البشر، بل من المستحيلات في هذه الحياة!! وهو بخصائصه الإعجازية هذه نجد أن كلا من العالم والجاهل والسطحي والباحث: يلتقون على فهم القرآن!!.

كأن كل آية فيه قد فصلت على روعة إعجازها اللغوي والبياني تفصيلا بما يتناسب مع عقلية كل منهم بحسب درجته في المعرفة والعلم، والاستيعاب والفهم!.

فكيف تتحقق جميع هذه المزايا والخصائص في تراجم المترجمين؟!.

وهذا.. فحوى فتاوى علماء الإسلام بحرمة تسمية ترجمة معاني القرآن الكريم قرآنا وحرمة محاولة ترجمته حرفيا إلى غير اللغة العربية، كما أنهم أفتو بحرمة كتابته بغير الحروف العربية، قال الله تعالى:﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [14] فهو عربي بمعناه ومبناه وبلفظه ورسمه!!.

وقال تعالى:﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [15].

ترجمة معاني القرآن ليست قرآنا:

القرآن الكريم هو النظم العربي المعجز الذي أنزله الله تبارك وتعالى على قلب نبيه ورسوله محمدﷺ، وأودعه سبحانه في بطون المصاحف وصدور الحفاظ وتعبد المؤمنين بتلاوته أناء الليل وأطراف النهار وجعل الصلاة المفروضة لا تصح إلا بقراءة القرآن فيها بلفظه العربي ونصه المعجز.

وجعله سبحانه الآية الناطقة الباقية على صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى كما جعل سبحانه القرآن الكريم المعجزة الخالدة التي تحدى العرب بل الأمم جميعا قديما وحديثا على أن يأتوا بمثله.

قال تعالى: :﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (16) والتحدي باق إلى قيام الساعة. ولذلك م اكانت ترجمة معاني القرآن "قرآنا" ولن تكون وللقرآن الكريم جهتان:جهة المعاني، وجهة النظم:

أما جهة المعاني–وهي المقصودة في هداية القرآن وإرشاده–التي تشتمل على توحيد الله وتنزيهه، والأدلة عليهما، وإقامة الحجة على المخالفين فيهما، وعلى الأحكام الشرعية المبينة للحلال والحرام في معاملات الناس فيما بينهم وعلى الآداب والأخلاق وعلى العبر في القصص والأخبار والأمثال.

وأما الجهة الثانية: "جهة النظم" فهي التي تشتمل على الإعجاز القرآني الذي كان فيه التحدي ولازال! إن النظم القرآني معجز في أسلوبه وبيانه ولغته والقرآن الكريم كلام الله بلفظه ومعناه، فإذا نقلنا المعنى دون اللفظ لا يكون التعبير عن المعنى قرآنا أبدا.

ونحن إذا نظرنا إلى عامة كلام المفسرين للقرآن، نجده يعبر عن معاني القرآن، ولم يتبادر إلى ذهن أحد من المسلمين أن هذا التفسير قرآن أبدا.

وهذا من حيث التفسير والتعبير باللغة العربية!؟ فما هو الشأن في الترجمة التي يتم التعبير فيها عن معاني القرآن بغير اللغة العربية؟ إنه ما من شك أبدا أنها ليست بقرآن !؟.

وذلك أنه إذا أمكن نقل معاني القرآن–وهذا جائز وممكن– إلى غير لغته التي نزل فيها، فإنه من غير الممكن قطعا، بل من المستحيل الإتيان بنظم بغير اللغة العربية يماثل نظم القرآن المعجز وبهذا يتضح بجلاء لا لبس فيه بأن الترجمة لمعاني القرآن الكريم ليست بقران وذلك لأسباب منها:

1– أنه لا يتعبد بقراءة الترجمة، كما يتعبد بقراءة القرآن الكريم.

2– لا يجوز قراءتها في الصلاة.

3– يجوز مسها بغير طهارة.

4– لا يجوز تسميتها بـ "**ترجمة القرآن**".

5– لا تستنبط منها الأحكام الشرعية.

شروط الترجمة وضوابطها.

إن من أهم الأمور التي يجب على المترجم اعتبارها في "**النقل والترجمة**" هذه الشروط والضوابط التي سوف أحاول توضيحها وبيانها فيما يلي: لقد وضع العلماء أهم الشروط والضوابط التي يجب أن تتوفر في المترجم وهي:

أولا: أن يكون المترجم مسلما فلا تقبل ترجمة غير المسلمين، لأنهم غير مأمونين على الإسلام.

ثانيا: أن يكون المترجم من أهل العدالة والثقة[17] فلا تقبل ترجمة الفاسق والمتهاون في دينه.

ثالثا: أن يكون المترجم من الضليعين باللغة التي ينقل إليها معاني القرآن الكريم، ذي إدراك عميق لخواص استعمال ألفاظ اللغة التي يترجم بها.

رابعا: أن يتقيد بآداب المفسر إذ المترجم مفسر يفسر لغة بلغة أخرى.

خامسا: أن يتقيد المترجم بضوابط الترجمة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه[18] حيث يقول:

والترجمة والتفسير ثلاث طبقات: وسوف أكتفي بذكر البعض منها والتي لها علاقة بالترجمة:

1- أن يلتزم المترجم في ترجمته جهة الألفاظ والمعاني القرآنية، دون النظم القرآني لأن النظم القرآني معجز لا يمكن للبشر محاكاته أو الإتيان بمثله بلغته أو سواها.

وليس مطلوبا من المترجم أن يترجم صيغة النظم القرآني قطعا، لأن عمله منحصر في دائرة نقل معنى اللفظ أو معاني الألفاظ دون النظم الذي فيه الإعجاز القرآني وهذا يدعوه إلى الاحتراز من الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، لأن ذلك فوق الطاقة البشرية.

2- أن يلتزم المترجم في ترجمته لمعاني القرآن الكريم بالمنهج الصحيح للترجمة، والذي يقوم على الأمور التالية:

- أن تكون صياغة الترجمة صياغة سهلة خالية من التعقيد سليمة من الحشو الذي لا علاقة له بالتفسير، وأن تكون مناسبة لإفهام المخاطبين المترجم لهم.
- أن يتحرى لمعاني الألفاظ القرآنية الكلمات المطابقة لها في اللغة التي يترجم بها بدقة وعناية.
- أن يذكر معنى الآية كاملا، أو الآيات إذا كانت متعلقة بموضوع واحد، متسلسلة في عبارات واضحة.

– أن يستعين بمن هو أعلم منه باللغة التي يترجم بها، بأن يراجع له ما قام بترجمته، أو الاستفادة من خبرات أمثاله.

– أن يجعل تفاسير المفسرين المعتمدين مرجعا هاما في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، لأن نقل معاني التفسير والتأويل من كتبهم أسهل وأيسر وأسلم من أن يعتمد على أخذ المعنى من القرآن مباشرة بنفسه.

– أن يبين المترجم في مقدمة ترجمته "بأن ترجمته هذه لمعاني القرآن ليست بقرآن" وإنما هي ترجمة تفسيرية لمعاني القرآن الكريم، كما أن عليه أن يؤكد الحقيقة الراسخة التي ذكرها الإمام ابن تيمية بأن "**اللسان العربي شعار الإسلام وأهله**"[19] وأن على جميع المسلمين غير العرب واجب تعلم تلاوة القرآن الكريم بأحكامه المذكورة في علم التجويد، باللفظ العربي الصحيح والأداء السليم.

وختاما لما سبق نقول بأن مبحث ترجمة القرآن الكريم مبحث دقيق، له أهميته وله خطره، ولدقته وغموضه اختلفت فيه العلماء قديما وحديثا وتطاحنت فيه أفكارهم وأراؤهم منعا وتجويزا.

وإن بعض الناس قاموا بزعمهم بنقل القرآن إلى لغات كثيرة، وترجمات متعددة بلغت إحصاء بعض الباحثين مائة وعشرين ترجمة، في خمس وثلاثين لغة ما بين شرقية وغربية.

وأكثر هذه الترجمات طبعا هي: الإنجليزية، الفرنسية والتركية، وأربع ترجمات باللغة الصينية وثلاث بالاتينية واثنتان بالأفغانية وواحدة بالجاوية وأخرى بالأوردية، ومن هؤلاء الذين ترجموه من يحمل الإسلام عداوة ظاهرة.ومنهم من يحمل له حبا ولكنه جاهل به "وعدو عاقل خير من صديق جاهل".

وعلى كل حال يجب أن نفهم هذه المسألة فهما صحيحا، يوافق الحق والصواب "الترجمة التي هي غير التفسير: قسمان"[20]:

1– ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية.

2– ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى.

– فالترجمة الأولى: يراد بها تفسير القرآن بلغة غير لغته: أي أن يفسر القرآن بلغة أعجمية غير عربية أيا كانت من لغات العالم، وهذه–وإن كانت من باب أولى– لا تصح بها الصلاة، إلا أنها ترجمة جائزة وتفسير سائغ لأن تفسير القرآن بلسان أعجمي لمن لا يحسن العربية يجري في

حكمه مجرى التفسير العربي لمن يحسن العربية فكلاهما جائز: إذ هو وسيلة لفهم القرآن وبيان لمراد الله سبحانه حسب الطاقة البشرية، وإيضاح المعنى يستوي فيه ما كان بلغة العرب وما كان بلغة غيرهم.

– والترجمة الثانية: بمعنى نقله إلى لغة أخرى، أي: أن يعبر عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد وهذه الترجمة تسمى "**الترجمة الحرفية**" أو "**الترجمة اللفظية**" وهذه الترجمة هي المقصودة من هذا البحث، وهي التي شجر فيها الخلاف واضطربت فيها الآراء.

وزبدة القول فيها: "وهو الصحيح والحق من الأقوال" أنها مستحيلة عادة وعقلا ومحرمة شرعا، أما كونها مستحيلة عادة وعقلا، فلأن ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال، وكل ما استلزم المحال فهو محال، إذ لابد في تحققها من الوفاء بجميع معاني القرآن وجميع مقاصده كما في أساليب علوم المعاني والبيان، المتعددة المرامي، الفسيحة الميدان والتي هي مناط بلاغته وإعجازه، وكل ذلك مفقود في غير العربية.

وما كان لبشر أن يحيط بها فضلا عن أن يحاكيها في كلام له، ولأن ترجمة القرآن بهذا المعنى مثل القرآن، وكل مثل للقرآن مستحيل، وكيف لا، وقد ثبت أن القرآن تحدى أفصح العرب أن يأتوا بمثله فأعجزهم وأخرسهم عن أخرهم فكيف بغير العرب فأحرى أن يكون بيانهم أقصر وأخرى أن يكون عجزهم أظهر قال ﷻ: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (21).

إن محاولة ترجمة القرآن إلى لغة أخرى أو كتابته بحروف لاتينية أو أعجمية تشجيع للناس على انصرافهم عن كتاب ربهم وإبعادهم عن الرسم العربي لتنقطع صلتهم بالقرآن الكريم فيصبح–لا قدر الله– أثرا بعد عين، وهذا ما حدث تماما للكتب السابقة "ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح"كما يقول علماء أصول الفقه فإذا كتب بحروف لاتينية فقد انسلخ من خصيصته العظيمة تلك على الإطلاق ومسخ نصه المعجز الرائع وشوه جماله الخلاب ليصبح بعد حين ليس قرآنا عربيا؟ وهو الذي أنزله الله بلسان عربي غير ذي عوج، فإذا كانت العربية لغة الدين وأمارة العلم ومنار الإسلام، ولسان القرآن فإن الفهم التام لا يتأتى بدونها إذ هو متوقف عليها وبذلك يكون تعلمها واجبا، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لقد أفتى قديما الإمام الشافعي بأن تعلم العربية فرض على كل مسلم عربيا كان أم أعجميا في كتابه "**الرسالة**" فقال بما نصه: "على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو كتاب الله تعالى"[22].

وقال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية: "إن اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب"[23]، وبمثل ذلك أفتى أيضا الإمام الأصولي الشاطبي في كتابيه (الاعتصام) و(الموافقات).

فالقرآن روح اللغة العربية وأساسها، لقد اعتقد المسلمون على مدى القرون–وهو الحق– أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام لأنها كانت ترجمانا لوحي الله ولغة كتابه ومعجزة رسوله، ولسان لدعوته، ثم هذبها النبي الكريم بحديثه، ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده: فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا بها، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها وأعظم آثار القرآن على اللغة العربية أنه حفظها من الضياع وكفل لها الجدة وحرسها عبر الزمان وكفل لها البقاء وخاصة في أزمان الغزو إبان غلبة اللغة الفارسية والتركية.

كما حفظ القرآن اللغة العربية من العجمة حين دخلت في الإسلام الأمم والشعوب، وحين اختلفت لهجات الأمم ظل الإسلام قادرا على حفظ وحدة اللغة العربية دون أن تتحول إلى لهجات إقليمية، ولقد أتاح القرآن للغة العربية أن تكون لغة الدين ولغة العلم، ولعل اللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي ظلت على مدى أربعة عشر قرنا مرتبطة بمفاهيمها الأساسية دون أن يطرأ عليها أي تغيير، إذ ظلت محتفظة بأسسها من كل تبديل، ومن هنا فإن مقاصد القرآن الكريم مازالت–وستظل– باقية على نفس الصورة التي أنزل بها الوحي.

إن القرآن العظيم ذو شأن و لاريب، وأن له حرمة يجب على المسلمين أينما كانوا أن يقدروها حق قدرها ويرعوها حق رعايتها: وحسبنا من ذلك غيرة السلف من الصحابة والتابعين رضوان لله عليهم أجمعين في احترام المصحف وتعظيمه يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي مصر الأسبق وعضو جماعة كبار العلماء "أجمع المسلمون على وجوب تعظيم المصحف واحترامه وتوقيره وصيانته من كل دنس وقذر حتى حكم الفقهاء بكفر من ألقى به في القاذورات، ونصوا على حرمة وضعه في الأماكن المهينة، وحرمة كتابته بمادة نجسة، وحرمة السفر به وقت الحرب إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه في أيديهم وامتهانهم له، وعلى حرمة اتخاذه كوسادة للنوم..إلى أن قال: ولذلك فإنني أرى لزاما أن كتابته بحروف لاتينية مخل جدا بتعظيمه بل هو عين التحريف

الذي جاء في قوله تعالى﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾[24]، وهو تبديل حروفه على غير ما أنزله الله على رسوله وهو ما جاء في قوله تعالى:﴿ أعجمي وعربي﴾[25] وهو معنى عدم ارتضاء كاتب النص بالحرف الأفرنجي نزوله ووضعه العربي وبالتالي فهو شعور لاشك أنه كفر صارخ[26].

وقال الشيخ صالح العود الأمين العام لمركز التربية الإسلامية في باريس: –ما نصه: "وبناء على ذلك فإن كتابة النص القرآني بحروف لاتينية لا تجوز شرعا لأنها تفضي إلى مفسدة عظيمة وهي الطعن في القرآن بأكمله، وانتقاص ألفاظه واستصغار حروفه واحتقار نص التنزيل وتشويه جماله والإخلال بقواعد ترتيله وتجويده وإضعاف قوة بيانه، والذهاب بحسنه وروعة جرسه وإلحانه، وتجريده من صفة الإعجاز أسمى خصائصه العليا"[27].

إن الأمة قد أجمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى، ومعلوم أن ترجمة القرآن بهذا المعنى العرفي تساوي روايته بالمعنى، فكلتاهما صيغة مستقلة لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية فالرواية بالمعنى لغتها لغة الأصل، وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل، وعلى هذا يقال: إذا كانت رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعا..فهذه الترجمة ممنوعة كذلك، قياسا على هذا المجمع عليه بل هي أحرى بالمنع، للاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

وصدق الله حيث يقول: ﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم﴾.

الهوامش

1– لسان العرب لابن منظور. ج12.ص.66

2– صحيح البخاري كتاب الرقائق باب من نوقش الحساب عذب. رقم .49

3– فتح الباري للحافظ ابن حجر. ج1. ص.34

4– الإصابة في تمييز الصحابة.ج6.ص.135

5– سورة الروم. الآية .22

6– سورة إبراهيم. الآية .04

7– فتح الباري.ج6.ص.184

8– التراتيب الإداري.ج1.ص.202

9– المبسوط للسرخسي.ج1.ص.37

10- فقد جاء في كتاب" عجائب الهند" لبزرك بن شهريار.ص407: "أن ملك السور"مهروك بن رائق"كبير ملوك الهندوس في سنة 270هـ طلب من عبد الله ابن عبد العزيز ملك المنصورة- بأرض السند- أن يترجم له معاني القرآن الكريم فأسند هذه المهمة إلى رجل عراقي مشهور في الأدب والشعر والذكاء، فأسلم وأخفى إسلامه عن رعاياه الهندوس".

11- تاريخ توثيق نص القرآن الكريم للشيخ خالد عبد الرحمن العك. ص147-.149

12- سورة الإسراء. الآية .88

13- الموافقات للشاطبي.ج2.ص66-.68

14- تاريخ توثيق نص القرآن الكريم للشيخ خالد عبد الرحمن العك.ص149-.151

15- الزخرف.03

16- سورة يوسف. الآية .02

17- سورة الإسراء. الآية.88

18- المغني والشرح الكبير لابن قدامة المقدسي.ج11.ص474-.476

19- نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية.ص 97-.98

20- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.ص.203

21- أصول التفسير وقواعده.تأليف: الشيخ خالد عبد الرحمن العك.ص.478

22- سورة الإسراء. الآية.88

23- كتاب "الرسالة" للشافعي.

24- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية.ص.207

25- سورة المائدة. الآية .43

26- سورة فصلت. الآية .42

27- مجلة منار الإسلام.العدد14.سنة1988. حول موضوع: الندوة العالمية لمقاومة تحريف القرآن الكريم.

28- مجلة منار الإسلام. العدد الرابع. السنة14. .1988

29- سورة البقرة. الآية 179.

قائمة المراجع والمصادر

1- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد بن عبد الرحمن الرومي،ط1. 1407هـ.

2- الإتقان في علوم القرآن:جلال الدين السيوطي، ط2 .1343هـ، المطبعة الأزهرية بمصر، ط3 .1370هـ. مصطفى البابي الحلبي.

2- أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، ط2 .1406هـ.

4- الإكسير في علم التفسير: سليمان بن عبد القوي الصرصري الطوفي، تحقيق د.عبد القادر حسين. مكتبة الآداب-القاهرة.

5- الاكيل في المتشابه والتأويل: ابن تيمية، مكتبة أنصار السنة المحمدية-القاهرة- ط2 .1366هـ.

6- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.دار الفكر.ط3 .1400هـ.

7- بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.دار المعارف بمصر(بدون تاريخ).

8- التبيان في آداب حملة القرآن: يحي بن شرف الدين النووي، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط.مكتبة دار البيان، دمشق مكتبة المؤيد الطائف.ط1405،1هـ.

9- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي تحقيق محمد اليونسي وابراهيم عوض، دار الكتب الحديثة.مصر.

10- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة.ط1. 1381هـ.والجزء الثالث.مكتبة وهبة.ط1. 1409هـ.

11- التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل: حامد العمادي (مخطوطة مصورة في مكتبة الحرم النبوي).

12- خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: د. محمد رجب البيومي مجمع البحوث الإسلامية الكتاب الثاني والأربعون، شوال 1391هـ.

13- دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: د.أحمد جمال العمري مكتبة الخانجي، مصر، ط1 .1406هـ.

14- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرناؤوط، ط2، 1402هـ، مؤسسة الرسالة.بيروت.

15- القاموس المحيط: محمد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الحلبي وشركاه.القاهرة. بدون ذكر السنة.

16- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة البيطار، ط2. 1380هـ.دار إحياء الكتب العربية.القاهرة.

17- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي.بيروت.ط2. 1390هـ.

18- مباحث في التفسير الموضوعي: د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط1. 1410هـ.

19- مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق د/ عدنان زرزور، دار القرآن الكريم.الكويت.ط1. 1391هـ.
20- مناهج المفسرين: د/مساعد مسلم آل جعفر، د/محي هلال السرحان، وزارة التعليم العالي، العرقا، ط1، 1980م.
21- مناهل العرفان في علوم القرآن: د/كامل عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية.القاهرة.
22- المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم: د.كامل سعفان، الطبعة الأولى. 1981م، مكتبة الأنجلوالمصرية.
23- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، بشرع عبد الله دراز وترقيم عبد الله دراز، دار المعرفة.بيروت.بدون تاريخ.
24- الموطأ:الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.1380هـ.
25- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى،1382 وطبعة دار الفكر العربي.
26- النبأ العظيم: د.محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، الطبعة الرابعة، 1397هـ.
27- نواسخ القرآن: ابن الجوزي، تحقيق محمد أشرف الملبادي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1404هـ.
28- معاني الحروف(للرماني) أبي الحسن على بن عيسى المتوفي سنة 384هـ تحقيق د. عبد الفتاح شلبي. دار النهضة.مصر.
29- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير:د/محمد محمد أبو شهبة.ط.مجمع البحوث الإسلامية.سنة 1973م.
30- نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن للإمام أبي بكر السجستاني. المكتبة السعيدية بالأزهر بمصر.على هامش المصحف الكريم.